IFRC

كلمة تمهيدية

بقلم جاغان تشاباغين

الأمين العام للاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر

في كل أزمة شهدتها وفي كل استجابة قدّمتها شبكة الصليب الأحمر والهلال الأحمر الدولية للكوارث، أو لحالات الطوارئ الصحية العامة، أو لحركات النزوح السكاني الواسعة، أو للتبعات الإنسانية للنزاعات المسلحة، كانت المعلومات دائماً ضرورة لا تقل أهمية عن الغذاء والمياه والمأوى. فهي التي ترشد الناس إلى برّ الأمان، وتصلهم بأحبّتهم، وتمنحهم المعرفة اللازمة لحماية أنفسهم ومجتمعاتهم.

لكن المعلومات يمكن أن تُلحق الضرر أيضاً. فعندما تكون خاطئة أو مضلِّلة أو مُتلاعباً بها عمداً، فإنها تعمّق الخوف، وتغذّي التمييز، وتعيق الوصول الإنساني، وقد تكلّف أرواحاً. وقد شهدنا ذلك مراراً خلال تفشّي الأمراض، حين تسبق الشائعات الإرشادات الصحية، وبعد الكوارث، عندما يقوّض انعدام الثقة إيصال المساعدات، وفي النزاعات المسلحة، حين تؤدي السرديات التحريضية إلى تصعيد العنف.

ليست المعلومات الضارة ظاهرة جديدة، لكنها اليوم تنتقل بسرعة وانتشار غير مسبوقين. فالمنصات الرقمية تفتح قنوات حيوية لأصوات المجتمعات، لكنها في الوقت نفسه توفّر بيئة خصبة لانتشار الأكاذيب. وفي هذا السياق، تصبح الثقة هشّة.

في البيئات الإنسانية، تزدهر المعلومات الضارة حيثما تضعف الثقة. فالثقة تؤثّر بشكل حاسم فيما إذا كان الناس يصدّقون المعلومات الضارة أو يتداولونها أو يسهمون في نشرها، وبذلك تحدد أثرها ومدى انتشارها. وتتغذّى المعلومات الضارة على الخوف وعدم اليقين، فتُضعف العلاقات التي تُمكّن الوصول الإنساني والعمل الإنساني. ومن دون الثقة، تقلّ احتمالات استعداد الناس، أو طلبهم للمساعدة، أو التزامهم بالإرشادات المنقذة للحياة. أمّا في ظلّها، فتتكاتف المجتمعات، وتمتصّ الصدمات، وتتعافى بفعالية أكبر. إن الحفاظ على الثقة ليس خياراً، بل ضرورة إنسانية.

يدعو تقرير الكوارث في العالم ٢٠٢٦ الحكومات، والجهات الإنسانية، ووسائل الإعلام، وشركات التكنولوجيا، والمجتمعات، إلى إدراك أن موثوقية المعلومات مسألة حياة أو موت. فكما نخطّط للخدمات اللوجستية، والمأوى، والرعاية الصحية في حالات الطوارئ، يجب علينا أيضاً التخطيط للبيئة المعلوماتية. ويتطلّب ذلك الاستثمار في إشراك المجتمعات، وإعطاء الأولوية للإصغاء على حساب الخطاب، وبناء القدرة على الصمود في وجه السرديات الضارة، والالتزام الدائم بمبادئ الإنسانية، والحياد، وعدم التحيّز، والاستقلال في كل تفاعل ورسالة.

في عام ٢٠٢٤، قُتل ٣٢ من متطوّعي وموظفي الصليب الأحمر والهلال الأحمر أثناء تأديتهم لواجبهم. وفي عام ٢٠٢٥، فُقدت ٢٧ حياة أخرى. ويشكّل ذلك تذكيراً مؤلماً بالمخاطر التي يتحمّلها من يضعون الإنسانية في المقام الأول، وغالباً في أكثر الظروف خطورة. وتؤكّد هذه الخسائر الحاجة الملحّة إلى حماية العاملين والمتطوّعين في المجال الإنساني، وصون الحيّز الذي يحتاجونه لإنقاذ الأرواح. فكل ما من شأنه تعميق انعدام الثقة، أو تأجيج العداء، أو تحويل شارة الحماية إلى هدف، يجب مواجهته على وجه السرعة. إن تكريم ذكراهم يفرض علينا التصدي لهذه الأزمة بإلحاح وعزم.

ويجب أن يكون الأمل أيضاً جزءاً من استجابتنا. فالمعلومات الضارة تزدهر في مناخ الخوف والارتباك، لكن الأمل المرتبط بالثقة، والتضامن، والكرامة الإنسانية يمكن أن يكون معدياً بالقدر نفسه. إن تحقيق التوازن بين إدراك التهديدات وتعزيز الأمل، ودعم السرديات التي تبرز القدرة والاحتمال، يشكّل قوة مضادّة بالغة الأهمية. ففي مختلف أنحاء العالم، لا تستجيب المجتمعات للأزمات بالقدرة على الصمود فحسب، بل بالإبداع والتعاطف أيضاً، وغالباً ما تقود الطريق نحو إيجاد الحلول. ومن خلال تضخيم القصص والأصوات الأصيلة، لا نكتفي بمواجهة الزيف، بل نُلهم العمل، ونعزّز الثقة، ونذكّر الناس بأنه حتى في أحلك اللحظات، تبقى هناك مسارات للمضي قدماً.

لقد عمل الاتحاد الدولي وجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر الأعضاء فيه دائماً في صميم المجتمعات، وبنوا الثقة من خلال الحضور، والشفافية، والاحترام. وفي أزمة المعلومات الراهنة، تزداد أهمية هذا الدور أكثر من أي وقت مضى. إن التزامنا واضح وثابت: أن نعمل بإنسانية وعلى أساس الأدلة، وأن نصون الثقة، وأن نضع الأشخاص المحتاجين في المقام الأول، حتى تكون الأصوات التي يصل صداها أبعد في لحظات الخوف وعدم اليقين هي

الأصوات التي تداوي، وتُغيث، وتحمي. لكلٍّ منا دور يؤديه. فمن خلال البقاء على اطّلاع، وطرح الأسئلة، والتحقق، وتضخيم ما هو موثوق وبنّاء فقط، نعزّز البيئة المعلوماتية ونضمن أن يكون صوت الأمل أعلى من صوت الضرر.